

أهمية الدرس النحوي والبلاغي وأثرهما في الكشف عن معاني القرآن الكريم

The importance of the grammatical and rhetorical lesson and their impact on revealing the meanings of the Noble Qur'an

د . إلياس هاشمي¹

المدرسة العليا للأساتذة ، مستغانم ، الجزائر

hachemi.30041990@gmail.com

تاريخ الارسال 2024-01-02 تاريخ القبول 2025-03-10 تاريخ النشر 2025-05-27

ملخص:

لاشك أن معرفة اللغة العربية والحذق بها من الأدوات المعينة في فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه على الوجه الصحيح ، إذ نزل القرآن الكريم باللسان العربي المبين ، فلا يتأتى فهمه وتبصره إلا بهذا اللسان الذي نزل به ، وقد حذر علماءنا أشد الحذر من يروم تفسير القرآن الكريم دون الغوص في أعماق اللغة العربية فيخطئ خبط عشواء وتزل به القدم .

ومن أجل علوم اللغة العربية علم النحو الذي له دور عظيم في تجلية المعنى وكشفه وإزالة اللبس ، و الغموض في شتى السياقات لذلك اعتنى الأولون بدراسته ، وتدريسه ، وأولوه اهتماما كبيرا ، باعتباره الطريق الموصل إلى المعاني و كونه المميز بين أغراض المتكلمين .

وعلى هذا يسعى البحث إلى تبين أهمية النحو في معرفة اللغة ، وارتباطه الوثيق بالبلاغة وأن النص العربي الفصيح - وفي قمته القرآن — لا يكشف النقاب عن معانيه الدقيقة ، ولا يتوصل إلى خواص تراكيبه واستجلاء دلالاته إلا بالتعمق في فهم النحو والبلاغة معا .

الكلمات المفتاحية: معاني القرآن ، الفهم الصحيح ، دلالة التراكيب ، البلاغة ، النحو .

Abstract:

There is no doubt that knowledge of the Arabic language and mastery of it is one of the auxiliary tools in understanding the Noble Qur'an and realizing its meanings properly, as the Noble Qur'an was revealed in the clear Arabic tongue, so its understanding and insight is only possible with this tongue in which it was revealed. .

For the sake of the sciences of the Arabic language, grammar, which has a great role in manifesting the meaning, revealing it, removing confusion, and ambiguity in various contexts. That is why the first ones took care of studying it, teaching it, and giving it great attention, as it is the path that leads to meanings and is the discerning between the purposes of the trustworthy.

Based on this, the research seeks to demonstrate the importance of grammar in knowledge of language, and its close link with rhetoric, and that the eloquent Arabic text - at its summit the Qur'an - does not reveal its precise meanings for the niqab, nor does it come to the properties of its structures and clarify its connotations except by in-depth understanding of grammar and rhetoric together.

Key words: grammar / rhetoric / semantics of structures / correct understanding / meanings
The Quran

1. مقدمة:

يُعدُّ معرفة اللغة العربية والحدائق بها من الأدوات والوسائل التي تعين على فهم كلام الله عز وجل ، وإدراك معانيه على الوجه الصحيح ، وذلك أنَّ القرآن الكريم قد نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، فلا يتأتى فهمه و تبصُّره إلا بالتضلع في معرفة هذا اللسان .

ومن أجلِّ علوم اللغة العربية علم النحو الذي له أهمية كبيرة في الكشف عن المعاني وإزالة اللبس، وفكِّ مقفلات النصوص، وتجليه الأغراض الكامنة في كلام الله عز وجل .

فهو السبيل إلى محاكاة لسان العرب في كلامهم، و انتحاء أساليبهم، كيَّ يُلحَق الأعجمي الذي لا يبين بالعرب الفصحاء، ويتَّصل بركب البلغاء، وهذا ما نستشفه في قول ابن جني (ت 392 هـ) معرفاً للنحو: « هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية ، والجمع ، والتحقير ، والتكسير ، والإضافة ، والنسب ، والتركيب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها ، وإن لم يكن منهم ، وإن شذَّ بعضهم عنها ردَّ به إليها »¹.

وقد جاء في تعريف النحو أيضاً: « هو علمٌ بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل : علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده »².

أي: إنَّه علم يدُرُسُ أنماطُ التراكيب وما يعتريها من تغيّرات بحسب الدلالات التي تطرأ عليها، وينظرُ أيضًا في ما يستقيم من الكلام، وما لا يستقيم صحّةً وفسادًا .

وما زال المتأخرون من علماء البلاغة واللغة يؤكّدون أهمية النحو في معرفة اللغة، والوقوف على دلالاتها المختلفة ، إيمانًا منهم بأنّ النصّ العربيّ الفصيح - وفي قمته القرآن - لا يكشف النقاب عن معانيه الدقيقة، ولا يتوصّل إلى خواصّ تراكيبه واستجلاء دلالاته إلا بالتعمّق في فهم النحو .

وكما هو معلوم أنّ علم النحو من أهمّ الأصول التي يحتاج إليها المفسّر في اجتهاده، وهذا ما نستشّفه من تقسيم ابن خلدون لعلم التفسير إلى تفسير نقلي و تفسير يرجع إلى اللسان العربي .

يقول ابن خلدون : « والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قلّ أن ينفرد عن الأول ؛ إذ الأول هو المقصود بالذات وإنّما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة ، نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً »³. بل إنّ علماء التفسير قد أولوه أهميّة كبيرة ، واشتروا في المفسّر أن يكون على دراية بعلم النحو متضلّعاً فيه ؛ لأنّ علوم اللغة والنحو والبلاغة من أهمّ الأدوات التي يحتاجها المفسّر في الكشف عن معاني الآيات .

2. أثر النحو في تحديد دلالة التراكيب، وارتباطه بعلم البلاغة :

1.2 أثر الإعراب في المعنى :

لا شك أنّ المعنى هو أصل الإعراب والأساس الذي تُبنى عليه التراكيب ، فهو المؤثّر في التغيّر الإعرابي، ولهذا هذا كانت عبارة المتقدمين "الإعراب فرع المعنى" ⁴.

وعليه فالذي يحدّد المعنى ويقف على دلالة التراكيب ويُميّز بين المعاني المختلفة هو علم النحو أو الإعراب ، ولا يجادل في ذلك اثنان، بل أطبق كثيرٌ من النحاة على الرّبط بين النحو والمعنى في تعريفهم لعلم النحو .

قال السكاكي : « اعلم أنّ علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم؛ لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها ؛ ليحتز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية ، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات »⁵ .

فلا يؤدّي المعنى أصلاً إلّا بمقاييس مُستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليه، وهذا هو علم النحو الذي يُحتزُّ به عن الخطأ في التركيب .

إنَّ الحركات هي التي تعطي الفارق بين المعاني في الجُمْل، و تميّز بين التراكيب المختلفة، ولهذا يجب معرفة التركيب، وأثر الحركة الإعرابية؛ ليستطيع أن يبلغ بها إلى أدقّ المعاني، ولا شك أن تغيير حركة واحدة قد تقلب المعنى، ويصبح السؤال جوابًا، كقولك في السؤال: "من أسعد الناس؟ وتجب: من أسعد الناس، فإذا أردت أن تسأل عن سعادة الناس، فترفع كلمة "أسعد"، و تجيب عنها بفتحها "من أسعد الناس"، بمعنى أن الذين يسعدون الناس هم السعداء حقًا، فيتغير المعنى بتغير حركة إعرابية واحدة.

وعلى هذا النحو أيضا قولهم: "هَنْ حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ"، وقوله: "هَنْ حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ"، فالتركيب الأول إخبار عن كونهم قد حجّوا بيت الله، وتمّ لهم ذلك، وبالنسبة للتركيب الثاني فقد قصدوا الحج ولم يحجّجن بعد.

فالمعنى إذاً هو الذي جعل العربي ينتقي حركةً دون حركةٍ أو تركيباً دون تركيبٍ، للدلالة على أغراضهم المختلفة، ويظهر ذلك جلياً في ما رواه ابنُ جني في الخصائص عمّا جرى بين الفرزدق وابن إسحاق النحوي: « حضر الفرزدق مجلس ابن أبي إسحاق، فقال له: كيف تُنشِدُ هَذَا الْبَيْتَ:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كَوْنَا فَكَانَتَا *** فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقال الفرزدق: كذا أنشد. فقال ابن أبي إسحاق: ما كان عليك لو قلت: فعولين! فقال الفرزدق: لو شئت أن تسبح لسبحت. ونهض فلم يعرف أحد في المجلس ما أراد بقوله: لَوْ شِئْتُ أَنْ تَسْبَحَ لسبحت، أي: لو نصب لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما أن تفعلا ذلك، وإنما أراد: أهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر، قال أبو الفتح: "كان" هنا تامّة غير محتاجة إلى الخبر، فكأنّه قال: وعينان قال الله: احداثا فحدثنا، أو اخرجنا إلى الوجود فخرجنا " «⁶.

مقصوده: أن حالة الرفع أوجب من حالة النصب؛ لأنّ المعنى يوجب ذلك، باعتبار أن "كان" في الحالة الأولى تامّة، ولا خبر لها، وتكون "فعولان" صفة للعينين حيث تفعلان بالعقول ما لا تفعله السحر. ولو أعملها ونصب "فعولين" على أنّها خبر لكان، فيكون قد أخبر أن الله خلقهما لتفعل بالألباب ما تفعله السحر، وهذا المعنى لا يريده الشاعر؛ لذلك رفع "فعولان" ونزه الله - عز وجل - عن ذلك. فترى أنّ المعنى هو الذي جعل الشاعر يبني التركيب اللغوي برفع "فعولان" دون نصبها، ممّا ينمّ على الارتباط الوثيق بين المعنى و النحو، وأن لا مناص من الإعراب للوصول إلى المعاني الدقيقة.

قال محمد عليّ الحمّدان: « لأنّ العلاقة التي تربط بين الأفكار والمعاني علاقة عضوية فالحركة الإعرابية توضّح المعنى، والمعنى نتاج اللفظ والتّركيب ، وكلّ تركيب لغوي تركيب نحويّ في الوقت نفسه»⁷ .

2.2 صلة التحوّ بالبلاغة :

لا شك أنّ علم البلاغة والتّحو من العلوم التي ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا ، ولا مجال لفصل أحدهما عن الآخر ، إذ هما شبيهان بالطّريق ، يمثّل التّحو بدايته على حين تمثّل البلاغة أقصاه ، وكم من مباحث نحويّة أضفى عليها البيانيّون مسحةً بلاغيّةً، أو باعتبار آخر معانٍ نحويّة حسنّها البيانيّون بتّمات بيانيّة. وإنّ كثيراً من الشّواهد التي تبين ما للتّحو من فوائد لا يستغنى عنها في الدّرس البلاغي، منها ما جاء في كتاب الكامل للمبرّد (ت 255 هـ)، وما جاء في الخصائص لابن جنيّ ، وما تضمّنه كتاب الصّاحبي وما ذكره أبو عليّ القالي وابن قتيبة في عيون الأخبار⁸.

ثمّ إذا نظرنا في مباحث علم المعاني أيضا فإنّها لا تخلو من لمسات نحوية، كمبحث الفصل والوصل الذي يتوخّى الأسرار الدّقيقة التي تكمن وراء عطف الجمل بعضها على بعض أو فصلها . قال محمّد الميّاح : « وأما الجانب التّحوي للفصل والوصل في الأبواب التّحوية التي تطرّقها علماء البلاغة كباب عطف الجمل والحال ، وإن اختلفت وجهة النّظر »⁹.

وكذلك أسلوب الحذف مما اشترك فيه علم التّحو والبلاغة ، فلا يمكن دراسة الحذف البلاغي إلّا بالنّظر إلى مواطن الحذف التي يتعرّض لها النّحاة ، وأسلوب التّقديم والتّأخير أيضًا ، فكلّ منهما مكمل للآخر . ومن يتأمّل كتاب سيبويه يجده ينصّ في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب تندرج ضمن فنّ البلاغة مثل التّخفيف والإيجاز والسّعة ، قال سيبويه : « والتّرخيم حذف أوأخر الأسماء المفردة تخفيفا، كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفا »¹⁰.

فسيبويه هنا يتحدّث عن الحذف بصفة عامّة ، ويبيّن السّبب الذي ألجأ العرب إليه ، وأنّ الذي دفعهم إلى ذلك إمّا طلب الخفّة على اللّسان ، وإمّا اتّساع الكلام والاختصار¹¹.

وللبلاغة علاقة وثيقة بعلوم الشّريعة ولا سيّما القرآن الكريم حتى عدّها بعض العلماء من علوم القرآن، ولا يمكن إقصاؤها عن التّفسير لما لها من القدرة على الوقوف على الخصائص التّعبيريّة للآيات الكريمة واستخلاص معانيها، ناهيك من التّأثير الذي تحدّثه بلاغة القرآن في نفس السامع والقارئ وإيصال المعنى إلى قلبه في أحسن صورة من اللفظ .

وعليه فعلم البلاغة لا يستغنى عن معرفته من يريد فهمه على الوجه الصحيح وإدراك معانيه بدقّة . لذلك يعدّ من الرّكائز التي اعتمدها المفسرون في تبيين معاني القرآن الكريم .

وقد أكّد الرّمحشري أنّ على المفسّر أن يتقن علم المعاني والبيان لكيّ يستطيع أن يغوص إلى أغوار المعاني وإلا كان كالممسك على الماء تخونه فروج الأصابع .

يقول الرّمحشري في مقدّمة تفسيره : « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقيح عنهما أزمّة »¹².

3 أهمية الدرس النحوي والبلاغي وأثرهما في الكشف عن معاني القرآن الكريم :

إنّ الدرس النحوي والبلاغي من أهمّ الأدوات التي يستعين به المفسّر في إيضاح معاني القرآن الكريم ، وأجلّ الوسائل التي تُتيح له و تمكنه من الاجتهاد في معنى الآية ، يقول أبو حيّان الأندلسي : « فجدّ لم تأت نفسهُ إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب ((سيبويه))، فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حلّ المشكلات إليه »¹³.

ومعلوم أنّ كتاب سيبويه حافل بعلوم اللغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة وعلم بمخارج الأصوات ، والتي معرفتها ضروريّ لأهل التفسير والحاجة إليها في علوم القرآن أكد .

ويبيّن أيضاً الرّجائي دور النحو في الكشف عن الدلالات المختلفة للقرآن الكريم ، وتبيان معنى الآية على الوجه الصحيح . يقول : « فإن قيل: ما فائدة في تعلم علم النحو ، فالواجب في ذلك أن يُقال له : الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدّل ولا مغيّر وتقويم كتاب الله عزّ وجلّ الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد ومعرفة أخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- وإقامة معانيها على الحقيقة لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقّها من الإعراب »¹⁴.

ولما كان الإعراب هو المُقتضي للمعاني كان أصلاً في الشريعة كما نصّ على ذلك ابنُ عطية : " إعراب القرآن أصل في الشريعة لأنّ بذلك تقوم معانيه التي هي في الشرع "¹⁵.

فليس ثمة سبيل إلى القرآن الكريم وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا بالنظر في هذا العلم والعناية به ، ولا شك أنّ كلّ من هوّن من أمر النحو ، واستصغره فإنّه أشبه بمن أراد أن يقطع الطريق إلى فهم القرآن الكريم ، وتدبره .

وإلى هذا أشار عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز : « وأما زُهدُهم في النحو واحتقارُهم له، وإصغارُهم أمره، وتهاوُّهم به، فصنيعُهم في ذلك أشنعُ من صنيعهم في الذي تقدّم، وأشبهُ بأن يكون صدّاً عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه؛ ذاك لأنهم لا يجدون بُدّاً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد علم أن الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها »¹⁶.

وستقدّم نماذج لجملة من الآيات فسرها العلماء اعتماداً على النحو والبلاغة وكيف وضّح المفسرون تعدّد المعاني باختلاف أوجه الإعراب .

1.3 اختلاف النّحاة في إعراب " والمُقيمِينَ الصَّلَاةَ " :

قال الله عزّ وجلّ « لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا » البقرة 162.

يقول عبد الرحمن الثعالبي: « واختلف النَّاسُ في قوله سبحانه: وَالْمُقِيمِينَ، وكيف خالفَ إعرابُها إعرابَ ما تقدّم وما تأخّر .، فقال بعضُ نحاة البَصْرَةِ والكُوفَةِ: إنّما هذا مِنْ فَطَعَ التَّعَوْتُ، إذا كَثُرَتْ على النِّصْبِ بـ "أعني" والرفعُ بعد ذلك بـ "هَمْ" »

وقال قومٌ: وَالْمُقِيمِينَ: عَطْفٌ عَلَى «ما» فِي قَوْلِهِ: وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، والمعنى: وَيُؤْمِنُونَ بِالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ قَوْمٌ: وَالْمُقِيمِينَ: عَطْفٌ عَلَى الضَّمِيرِ فِي مِنْهُمْ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَلَى الْكَافِ فِي قَوْلِهِ: مِنْ قَبْلِكَ " 17.

أَيُّ: "إِنَّ قَوْلَهُ " وَالْمُقِيمِينَ " لَمْ تَتَّبِعْ مَا قَبْلَهَا وَلَا مَا بَعْدَهَا فِي الْإِعْرَابِ فَقَبْلَهَا " الْمُؤْمِنُونَ " وَبَعْدَهَا " وَالرَّاسِخُونَ " فَيَكُونُ قَدْ وَقَعَ بَيْنَ مَرْفُوعَيْنِ وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ أَوْ مَجْرُورَةٌ بِالْيَاءِ عَلَى حَسَبِ الْإِعْرَابِ رَفْعًا وَجَرًّا ، وَقَدْ نَقَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الثَّعَالِبِيُّ قَوْلَ النَّحَاةِ فِي هَذَا ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَدَّرَ فَعَلًا مِنْ بَابِ قَطَعَ النَّعْتِ وَالْأَسْمَاءَ بَعْدَهُ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ "هُمَّ" . وَعَلَيْهِ يَكُونُ التَّقْدِيرُ : أَعْنِي الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَهُمْ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .

قال الزجاج في تفسيره : "وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ " عَلَى مَعْنَى، أَذْكَرَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، وَهُمْ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ " 18.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الثَّعَالِبِيُّ بِأَنَّ بَعْضَ النَّحَاةِ جَنَحَ إِلَى أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ : " وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ " أَيُّ: يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَيُؤْمِنُونَ بِالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ " وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، فَتَرَى أَنَّ الْمَعْنَى يَتَعَدَّدُ بِحَسَبِ تَعَدُّدِ الْإِعْرَابِ .

2.3 أثر تضمين الفعل في تعدد المعاني :

قال الله عز وجل : ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [

الأنبياء آية: 77]

من المعهود في اللغة أن يتعدى الفعل نَصَرَ بحرف الجرِّ عَلَى ونصرناه عَلَى القوم ولكنَّه قال : (وَنَصَرْنَاهُ مَن الْقَوْمُ) فما السر في ذلك ؟

يجبُ النحاة بأنَّ الفعل إذا تَضَمَّنَ معنى فعل آخر تعدى تعديته ، وهنا ضَمَّنَ فعلُ النَّصْرِ معنى النِّجَاةِ والانتقام ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا نَوْحًا بَعْدَ أَنْ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ، وَسَخَرُوا مِنْهُ وَهَدَدُوهُ بِالرَّجْمِ . . . لَا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْإِنْتِقَامَ بِالْإِغْرَاقِ فِي الطُّوفَانِ ، أَمَّا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمُ النِّجَاةُ فَانْظُرْ كَيْفَ أَدَّى التَّضْمِينَ هُنَا مَعَانِيَ النَّصْرِ ، وَالنِّجَاةَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْإِنْتِقَامَ مِنَ الْكَافِرِينَ 19.

3.3 تقديم المُحدّث عنه زيادةً في الإيضاح وقوّة في التأكيد :

من بلاغة القرآن الكريم أن يقدّم ذكر المسند إليه أو المحدث عنه ثمّ يُعقّب بجملة فعلية مثبتة أو منفية ممّا يُؤكّد معنى الآية ويقوّي معنى الجملة.

يقول عبد القاهر الجرجاني : وذلك بأن يكون الخبر منفيًا ، ويقدم الاسم على الفعل و النفي معًا ، نحو قولك : " أنت لا تُحسِن هذا " ، كان ذلك أشدّ لنفي الإحسان عنه من أن تقول: " لا تُحسِن هذا " ²⁰.

ومثال ذلك قوله تعالى : " وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ " [المؤمنون: 59] ، يفيد من التأكيد في نفي الإشراك عنهم ، ما لو قيل: "والذين لا يُشركون برّبهم، أو: برّبهم لا يشركون" لم يفد ذلك ²¹ .

4.3 بلاغة القرآن في قوله تعالى : " وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ "

لا شك أن علم البلاغة من العلوم التي يحتاجها المفسّر حيث يتوصّل بها إلى فكّ مقفلات النصوص ، والكشف عن الأغراض الكامنة في كلام الله عزّ وجلّ . ومنه التحليل البلاغي لأبي حيّان الأندلسي لقوله تعالى " وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ " [الأحزاب 10] ، وقوله تعالى : " إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ " [غافر:

[18

يقول عطية جُمعة هارون : " وبلغُ القلوبِ الحناجرَ تعبيرٌ يدلّ على الوقت العصيب ، وقد أتى أبو حيّان الأندلسي بعدّة تخریجات :

على المبالغة في الجزع والاضطراب دون أن تنتقل من مكانها

عبر بالقلوب وأراد وجيها وصوتها والصوت خال في القلوب على المجاز المرسل والعلاقة المحلية على حذف مضاف أي : وَبَلَغَ وَجِيبُ الْقُلُوبِ وحذف المضاف فارتفعت القلوب ارتفاعه ، وقيل عبر بالقلوب وأراد الرئة فإنها

انتفخ عند الخوف ، ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره على المجاز المرسل والعلاقة المجاورة ، أما بلوغ الحنجرة فهذا من المبالغة ²².

قال الزمخشري في كشّافه : " رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم : مدخل الطعام والشراب ، قالوا : إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد: ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ، ومن ثمة قيل للجبان : انتفخ سحره. ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبتها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة " ²³.
أي: قوله تعالى : " وبلغت القلوب الحناجر " كناية عن الخوف الشديد والفزع العظيم ، وتفسير ذلك إذا فزع الإنسان انتفخت رئته ، فارتفعت وارتفع القلب لارتفاعها إلى الحنجرة وهذا على سبيل المجاز لا الحقيقة .

5.3 أثر التعدد الإعرابي في اختلاف الأحكام الشرعية .

إنّ ثمة علاقة بين التعدد الإعرابي والأحكام الشرعية ؛ إذ يترتب على تغيير الإعراب تغيير في الحكم الشرعي ²⁴ ، كما في "كان" هل تعرب تامة أو ناقصة في قوله تعالى: «وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ» [البقرة: 280] .

قال أبو حيان الأندلسي : « وَقَرَأَ الْجُمُحُورُ: دُوْ عُسْرَةٍ، عَلَى أَنْ: كَانَ، تَامَةً، وَهُوَ قَوْلُ سِبْيَوَيْهِ، وَأَبِي عَالِيٍّ، وَإِنْ وَقَعَ غَرَمٌ مِنْ غَرَمَائِكُمْ دُوْ عُسْرَةٍ، وَأَجَازَ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ أَنْ تَكُونَ: كَانَ، نَاقِصَةً هُنَا ، وَقُدِّرَ الْحَبْرُ: وَإِنْ كَانَ مِنْ غَرَمَائِكُمْ دُوْ عُسْرَةٍ فَحَذِفَ الْمَجْرُورُ الَّذِي هُوَ الْحَبْرُ » ²⁵.

فإن كانت "كان" ناقصة فنصبت مُعْسِراً ، فهي خاصة بالدين فقط ، وإن كانت تامة "بالرفع" ، فهي تشمل الدين وغيره .

قال السمين الحلبي : « مَنْ نَصَبَ " دَا عُسْرَةٍ " ، أَوْ قَرَأَ مُعْسِراً ، فَقِيلَ : يَخْتَصُّ بِأَهْلِ الرَّبَا، وَمَنْ رَفَعَ فَهُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ » ²⁶ .

4. خاتمة:

وفي خاتمة المطاف نحيل إلى أهمّ النتائج الّتي تفتّحت عن هذا البحث ، نذكر منها:

يرتبط علم النّحو بالمعنى ارتباطاً وثيقاً ، لأنّه يدرس الإعراب الذي يُميّز بين المعاني المختلفة و يتناول دلالة

التّراكيب في شتّى السّياقات ، لذلك عدّ المتقدّمون الإعراب - علم النّحو - أصل المعنى وأساسه .

إنّ الصّلة بين النّحو والبلاغة وثيقة جدّاً ، والعلاقة بينهما متكاملة ، فلا يمكن الفصل بينهما ، و إتقانهما

ضروريّ لمن أراد علم الشّريعة.

أطبّق كثير من المفسرين والعلماء على ضرورة إتقان اللّغة العربيّة ، وامتلاك ناصيتها لكلّ من أراد أن يفسّر

آي القرآن الكريم ، واعتبروه شرطاً أساسيّاً في الاجتهاد .

إنّ الجهل بعلوم اللّغة العربيّة من نحوٍ وبلاغةٍ.. قد يفضي إلى الخطأ في فهم القرآن الكريم والحديث النبويّ

الشّريف ، فكم من طائفة ضلّت عن الطّريق بسبب جهلها وضعفها في اللّغة العربيّة .

قائمة المصادر والمراجع :

1. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، كتاب سيبويه ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1988 م .
2. أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1 ، 1422 هـ / 2001 .
3. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1376 هـ - 1957 م
4. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسّمين الحلبي ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، تح: أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، د ت .
5. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الرّمخشري جار الله ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1407 .
6. أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ، ط4 ، 1982م .
7. أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط4 ، د ت .
8. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السّكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987 م .
9. تمام حسان ، مناهج البحث في اللّغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط1 ، 1989م .
10. عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 1998م ، ط1 ، د ت .
11. عبد العاطي غريب علّام ، دراسات في البلاغة العربيّة ، منشورات قازيونس بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 1997م .
12. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، ط3 ، 1992م .
13. عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، مقدّمة ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الثانية ، 1408 هـ - 1988 م .

14. علي بن محمد بن علي الزين الشّريف الجرجاني ، كتاب التّعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1983م .
15. رسمية محمد الملاح ، الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة ، مجلّة كليّة الآداب العراقية ، العراق ، العدد الرابع عشر ، 1971/1970م .
16. محمد علي السّليم الحمدان ، أثر المعنى في تقدير بناء التّراكيب وإعرابها عند سيبويه ، رسالة دكتوراة بإشراف سمير شريف استيتية ، قسم اللّغة العربية ، كليّة الآداب ، جامعة اليرموك ، العراق ، السّنة الجامعيّة : 2003 / 2004 .
17. محمد بلعدوني ، الأصول التّحوية عند البلاغيّين في القرن الثّالث الهجري ، رسالة ماجستير بإشراف غيتري سيدي محمد ، قسم اللّغة العربية ، كليّة العلوم الإنسانية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، السّنة الدراسية: 2001 / 2002 .

هوامش البحث :

- ¹ أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 4 ، د ت ، ج 1 ، ص 35 .
- ² علي بن محمد بن علي الزين الشّريف الجرجاني ، كتاب التّعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1983م ، ص 240 .
- ³ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ، مقدّمة ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م ، ج 1 ، ص 440 .
- ⁴ تمام حسان ، مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط 1 ، 1989م ، ص 193 .
- ⁵ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1987 م ، ص 75 .
- ⁶ ابن جني ، الخصائص، ج 3 ، ص 305 .
- ⁷ محمد علي السّليم الحمدان ، أثر المعنى في تقدير بناء التّراكيب وإعرابها عند سيبويه ، رسالة دكتوراة بإشراف سمير شريف استيتية ، قسم اللّغة العربية ، كليّة الآداب ، جامعة اليرموك ، العراق ، السّنة الجامعيّة : 2003 / 2004 ، ص 43 .
- ⁸ ينظر : محمد بلعدوني ، الأصول التّحوية عند البلاغيّين في القرن الثّالث الهجري ، رسالة ماجستير بإشراف غيتري سيدي محمد ، قسم اللّغة العربية ، كليّة العلوم الإنسانية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، السّنة الدراسية: 2001 / 2002 ، ص 50 .
- ⁹ رسمية محمد الملاح ، الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة ، مجلّة كليّة الآداب العراقية ، العراق ، العدد الرابع عشر ، 1971/1970م ، ص 293 .
- ¹⁰ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، كتاب سيبويه ، تح: عبد السّلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، ط 3 ، 1988 م ، ج 1 ، ص 293 .

- ¹¹ ينظر: عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 1998م ، ط 1 ، د ت ، ص 70 .
- ¹² أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزَّحَّشَرِي جاز الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1407 هـ ، ج 1 ، ص 2 .
- ¹³ أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1 ، 1422 هـ / 2001 ، ص 111 .
- ¹⁴ أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان ، ط 4 ، 1982م ، ص 59 .
- ¹⁵ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزَّكَّشِي ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م ص 144 .
- ¹⁶ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، ط 3 ، 1992م ، ص 28 .
- ¹⁷ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم ، تح: محمد علي عوض، عادل عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ ، ص 328 .
- ¹⁸ أبو إسحاق الزَّجَّاج ، معاني القرآن الكريم وإعرابه ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988 م ، ص 132 .
- ¹⁹ وليد هاشم كميذ الصميدعي ، أهمية علم النحو في التفسير ، كلية الجامعة الإسلامية بجامعة تكريت ، ص 17 .
- ²⁰ عبد العاطي غريب علام ، دراسات في البلاغة العربية ، منشورات قازيونس بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 1997م ص 76 .
- ²¹ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ج 1 ، ص 129 .
- ²² عطية جمعة هارون هارون، البحث البياني في تفسير البحر المحيط ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2012 ، ص 412 .
- ²³ الكشاف ، ج 3 ، ص 526 .
- ²⁴ أحمد حمدان حطَّاب الصَّعُوب ، أثر المعنى في تعدد الأوجه الإعرابية في سورة البقرة في كتاب "الدَّر المصون في علوم الكتاب المكنون"، رسالة دكتوراه بإشراف عليّ الهزوط ، قسم اللغة العربية ، جامعة مؤتة ، الأردن ، 2007م ، ص 134 .
- ²⁵ أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط، ج 2 ، ص 716 .
- ²⁶ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسَّمين الحلبي ، الدَّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تح: أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، د ت ، ج 2 ، ص 643 .